



من معاني الفعل الرباعي على ضوء بعض تفاسير القرآن الكريم: دراسة صرفية تحليلية Among the Meanings of the Quadruple Verb in the Light of some Interpretations of the Glorious Qur'an: An Analytical Morphological Study

د. محمد عمر موسى

Dr. Muhammad Umar Musa

جامعة عثمان بن فودي، صكتو، نيجيريا

Department of Arabic Studies, Faculty of Arabic and Islamic Studies,
Usmanu Danfodiyo University, Sokoto, Nigeria.

DOI: 10.5281/zenodo.14027636

Submission Date: 12 Oct. 2024 | Published Date: 02 Nov. 2024

*Corresponding author: Dr. Muhammad Umar Musa

Department of Arabic Studies, Faculty of Arabic and Islamic Studies, Usmanu Danfodiyo University, Sokoto, Nigeria.

ملخص

تعدّ هذه الدراسة بحثًا معمقًا في *معاني الأفعال الرباعية* في اللغة العربية كما وردت في القرآن الكريم، من خلال منظور *صرفي تحليلي* يعتمد على تفسير القرآن. تهدف الدراسة إلى استكشاف أهمية *الصيغة الرباعية* في بناء المعنى اللغوي والدلالي، ودورها في تعزيز الفهم القرآني عبر الوقوف عند خصوصية الأفعال الرباعية ودلالاتها المتنوعة. تعتمد الدراسة على *منهج تحليلي مقارن*، حيث تقوم بتحليل مجموعة مختارة من الأفعال الرباعية في القرآن، ومراجعة كيفية تفسيرها في عدة كتب تفسيرية قديمة وحديثة مثل تفسير الطبري، وتفسير القرطبي، وتفسير ابن كثير، وغيرها. تسعى الدراسة لفهم *التغيرات الصرفية* للأفعال الرباعية، وكيف يمكن لهذه التغيرات أن تحمل معاني متعددة ومتنوعة تتلاءم مع السياق القرآني، فتفتح بذلك أبوابًا لفهم أعمق للنصوص المقدسة. يتناول البحث عدة محاور، أبرزها: 1. *تحليل صرفي للأفعال الرباعية*: يركز هذا الجزء على دراسة بنيتها الصرفية وما قد يطرأ عليها من تغيرات في الصياغة، كالإضافة أو التضعيف، وتأثير هذه التغيرات على دلالات الأفعال. 2. *دلالة الأفعال الرباعية في السياق القرآني*: يقوم هذا المحور بتفسير كيفية تباين معاني الأفعال الرباعية وفقًا للسياق الذي وردت فيه الآيات، مما يعكس ثراء اللغة العربية وقدرتها على استيعاب المعاني العميقة. 3. *مقارنة بين معاني الأفعال الرباعية في التفاسير المختلفة*: هذا الجزء يسلط الضوء على كيفية تفسير المفسرين للأفعال الرباعية ويظهر التنوع في فهم المفسرين للمعاني الممكنة لهذه الأفعال، مما قد يعكس الفروقات الفكرية والعقائدية بين المفسرين. 4. *الدلالة الإيمانية والتوجيهية للأفعال الرباعية*: يتم التركيز في هذا المحور على دور الأفعال الرباعية في إيصال المعاني الإيمانية والقيم التوجيهية من خلال النص القرآني، وكيف تساهم هذه الصيغة في تحقيق غايات النص من هداية وإرشاد. تلخص الدراسة إلى أن *الصيغة الرباعية للأفعال* في القرآن الكريم ليست مجرد تكوين لغوي، بل تحمل *أبعادًا دلالية متعددة* تُظهر التنوع اللغوي والدلالي للغة العربية، مما يعزز فهمنا للنص القرآني ويساهم في إبراز جمالياته ومعانيه العميقة.

التمهيد:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين المصرف للأموال والرياح أنزل القرآن الكريم وجعله معجزة خالدة بمعانيه ونظمه وألفاظه والصلاة والسلام على أفصح العرب خيرا من نطق بالضاد وعلى آله وصحبه ومن سلك سبيلهم إلى يوم الدين. وبعد.

لاحظ الباحث أن كثيرا من الدارسين والباحثين يهتمون أكثر بالحديث عن الفعل المجرد الثلاثي ومعاني المزيد منه حيث يدرسون المزيد بحرف والمزيد بحرفين أو المزيد بثلاثة أحرف ويطبّقون ذلك فينصّون القرآن الكريم والحديث النبوي الشريفونصوص كثيرة من الدواوين الشعرية وغيرها من النصوص فأراد الباحث في هذه العجالة أن يدرس الفعل الرباعي المجرد والمضاعف منه والملحق به وما يتعلق بذلك من معانيها في اللغة العربية.

ذلك بأن هناك أفعالا رباعية وردت في القرآن الكريم تحتوي في طياتها معاني صرفية ولغوية ذات أهمية كبرى لمن يريد أن يتعمق في المعاني الصرفية ذات صلة وطيدة بالإعجاز القرآني الصربي. كما أن كثيرا من هذه الأفعال أفعال مضعفة بحيث توحى أصوات هذا التضعيف معاني قد لا توجد في غير المضعفة منها: زلوا - كبكبا دمدم - بعثر - حصحص - زحزح - عسعس. وسيدرس الباحث هذه الأفعال ويبرز معانيها على حسب ما ذكر المفسرون الأجلاء رحمهم اللهم يهتمون بالظواهر اللغوية عامة والمعاني الصرفية خاصة بحيث يذكر ما أدركوه من المعاني عن هذه الصيغ الرباعية. وليس المقصود من هذا، الدراسة السطحية للمعنى الصربي للصيغة بل المقصود ذكر المعاني الصرفية الدلالية التي استدرکها المفسرون لهذه الصيغ الواردة في القرآن الكريم.

وتحتوي المقالة على الجانبين:

الجانب الأول: النظري ويحتوي على النقاط التالية:

- التعريف بالفعل الرباعي
 - المجرد والمزيد والملحق به
 - السالم والمضعف منه
 - اللازم والمتعدي منه
 - من معاني الفعل الرباعي في اللغة العربية.
 - الجانب الثاني: الجانب التطبيقي:
- يعرض الباحث فيه نماذج من الأفعال الرباعية في القرآن الكريم وأقول المفسرين في معانيها وستأتي المقالة على النقاط الآتية:
- التعريف بالفعل الرباعي المجرد:

ما كانت جميع حروفه أصلية وله وزن واحد وهو فعلل يفعلل فعلة وفعلا لا نحو: دحرج يدحرج
دحرجة ودحرجا

¹. ومعنى ذلك أن الرباعي له وزن واحد وهو فعلل يفعلل ومصدره فعلة وفعلا لكدرخ الرجل يدريخ
إذا طأ رأسه وسوى ظهره².

وقياس مصدر الرباعي والملحق به أن يكون على وزن فعلة بفتح الفاء وسكون العين وفتح اللامين
نحو بعثت الورق فتبعثرت إذا أثارها وحرجمت الإبل فاحرنجمت أي جمعتها³.

وعلاوة الرباعي المجرد هو أن يكون ماضيه علمثال أربعة أحرف بأن يكون جميع حروفه أصلية، وبنائه
للتعددية غالبا، وقد يكون لازما، مثال المتعدي دحرج زيد الحجر ومثال اللازم دريخ زيد⁴
مصدر الرباعي المجرد والملحق به:

وقياس مصدر الرباعي المجرد والملحق به أن يكون على وزن فعلة بفتح الفاء وسكون العين وفتح اللامين نحو بعثر
بعثرة ودحرج دحرجة. وإن كان الرباعي المجرد مضاعفا بأن كانت فاءه ولامه الأولى من جنس وعينه ولامه الثانية
من جنس واحد فإن مصدره يكون على وزن فعلة بفتح الفاء وسكون العين وفتح اللامين أو على وزن فعلا
بكسر الفاء وسكون العين وفتح اللام الأولى بعدها نحو زلزل زلزلة وزلزلا ووسوس وسوسة ووسواسا وهو في غير
المضاعف سماعي نحو سرهف سرهافا: إذا أحسن غذاءه. إلا أن الوسواس والصلصال بفتح فاء الكلمة تعني اسم
الفاعل بمعنى الموسوس والمصلصل⁵.

والرباعي المضاعف هذا مثل كبكب وصلصل على وزن فعلل أيضا فهما في الأصل ثلاثيان مزيدان بحرف واحد
على وزن فعلل كبب وصلل من كب وصل فألحقا بالرباعي بتبديل عنهما الثانية من جنس فائهما فصارا: كبكب
وصلصل وهكذا شأن العرب في كثير من الأفعال الثلاثية التي عينها ولامها من جنس واحد فقد كانوا أحيانا
ينطقونها مجردة على أصلها فعلل ويبدلون عينها الثانية من جنس فائها تارة أخرى، إلحاقا لها بالرباعي المجرد فقالوا:
دجج الليل ودجج إذا أظلم وعجج بصوته وعجج إذا رفعه وزجج الإناء وزجج إذا حركه وبجج في الكلام وبجج
إذا تردد فيه وهكذا وأصلها دج وعج وزج وبج⁶.

الأفعال الرباعية المنحوتة:

من أوزان الرباعي المجرد أفعال نحتها العرب من مركبات،

والنحت هو أن يصاغ وزن فعلل من مركب لاختصار الكلام، أي أن تختصر من كلمتين فأكثر كلمة
واحدة مثل:

1. بسمل: من قوله بسم الله الرحمن الرحيم

2. حوقل: لا حول ولا قوة إلا بالله

3. طلبق: أطال الله بقاءك

4. دمعر: أدام الله عزك

5. جعفل: جعلني الله فداءك

هذا ما سمع عن العرب⁷.

ولذا قال الحملاوي:

... أفعال نحتها العرب من مركبات فتحفظ ولا يقاس عليها⁸.

ومن المنحوت: عقربت الصدغ أي لويت شعر الصدغ كالعقرب

فلفلت الطعام: إذا وضعت فيه الفلفل... وحمدلت وحسبلت سبحت أي أي قلت: الحمد لله وحسي الله

وسبحان الله ومن المنحوت: بعثر أي بعثه وأثاره.

ولا يشترط في النحت إلا ترتيب الحروف كما رأيت وهو جائز وقياسي في كل ما أمكنك اختصاره⁹.

ومما استحدثه العلماء المعاصرون:

تلفن ومصدره تلفنة من التلفون أي تكلم بالتلفون

تلفز: ومصدره تلفزة من التلفزيون أي شاهد التلفزيون

هندس ومصدره هندسة¹⁰. أي صار مهندسا

وأوزان ملحقات الرباعي سبعة:

1. فعفل كجَلَبَبَه أي ألبسه الجلباب

2. فوعل كجَوْرَبَه أي ألبسه الجورب

3. فعول كرهوَك في مشيته: أي أسرع

4. فيعل كنبَطَر: أي أصلح الدواب

5. فعيل كشرَيْفَ الزرع: قطع شريفه

6. فعلى كسَلَقَى: إذا استلقى على ظهره

7. فعنل "كفَلَنَسَه: ألبسه القلنسوة

من معاني الأفعال الرباعية المنحوتة:

يأتي الفعل الرباعي المنحوت بمعان عدة منها:

1. اتخاذ الشيء كقمطرت الكتاب أي اتخذت له قمطرا أي وعاء وكسربت الرجل أي ألبسته

سربالا.

2. إصابة الشيء مثل عرقبه أي أصاب عرقوبه وهو ما فوق العقب وهو العصب الغليظ

3. الإصابة بالشيء أي استعماله كآلة مثل عرفصه أي ضربه بالعرفوص وهو السوط

4. جعل الشيء في الشيء مثل عنبر الطيب أي جعل فيه العنبر وفلفل الطعام جعل فيه الفلفل

5. محاكاة الشيء مثل حنظل طبع الرجل أي أشبه الحنظل في المرارة

6. إظهار الشيء مثل عسلجت الشجرة وبرعمت أي أظهرت عسالجها وبراعمها والعسلوج ما لان واخضر من قضبان الشجر، والبرعم الزهر قبل أن يتفتح¹¹.

الدراسة التطبيقية للأفعال الرباعية في القرآن الكريم

ويمكن تصنيفها على النحو التالي:

1- مادل على الاضطراب والتهويل مثل:

زلزلوا في قوله تعالى:

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْتُمُ الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَزُلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ۚ ۲۱۴﴾
في قوله تعالى: في سورة الأحزاب ﴿وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ۝ ۱۱﴾

و"زلزلوا" في الآيتين فعل رباعي يوحي بما كابده المؤمنون من مشقات وتعذيب من الكفار والمنافقين أيام الرسول صلى الله عليه وسلم وقال أبو حيان الأندلسي:

﴿وَزُلْزِلُوا﴾ (أي أزعجوا إعاجاً شديداً بالزلزلة ، وبني الفعل للمفعول ، وحذف الفاعل للعلم به ، أي : وزلزلهم أعداؤهم¹² .

قال ابن عاشور في التحرير والتنوير:

والزلزلة تحرك الجسم من مكانه بشدة ، ومنه زلزال الأرض ،

فوزن زلزل فُعِل ، والتضعيف فيه دال على تكرار الفعل كما قال تعالى: ﴿فَكَبِّبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ۙ ۹۴﴾ (الشعراء : 94) وقالوا لَمَلَمَ بالمكان إذا نزل به نزول إقامة¹³.

وقال الألويسي:

{ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا } بفتح الزاي ، ومصدر فعِل من المضاعف يجوز فيه الفتح والكسر نحو قلقل قلقالاً ، وقد يراد بالمفتوح اسم الفاعل نحو صلصال بمعنى مصلصل ، فإن كان من غير المضاعف فما سمع منه على فعالل مكسور الفاء نحو سرهفه سرهافاً أي أحسن غذاءه.

والفعل زلزل المتصل بواو الجماعة الآية يبرز معنى الشدة اوالمشقة التي كابدها المؤمنون عليهم رضوان الله

في عهد صدر الإسلام.

يصف الشعراوي هذا الزلزال فيقول :

"فأنت تكتشف خاصية فريدة في اللغة العربية ، هذه الخاصية هي تعبير الصوت عن واقعية الحركة ، فكلمة « زلزلوا » أصلها زلزلة ، وهذه الكلمة لها مقطعان هما « زل ، زل » . و « زل » : أي سقط عن مكانه ، أو وقع من مكانه ، والثانية لها المعنى نفسه أيضاً ، أي وقع من مكانه ، فالكلمة تعطينا معنى الوقوع المتكرر :

وقوع أول ، ووقوع ثانٍ ، والوقوع الثاني ليس امتداداً للوقوع الأول؛ ولكنه في اتجاه معاكس ، فلو كانت في اتجاه واحد لجاءت رتيبة ، إن الزلّة الثانية تأتي عكس الزلّة الأولى في الاتجاه ، فكأنها سقوط جهة اليمين مرة ، وجهة الشمال مرة أخرى . ومثل ذلك « الخلخلة » أي حركة في اتجاهين معاكسين « حَلَّ » الأولى جهة اليمين ، و « حَلَّ » الثانية جهة اليسار ، وبهذا تستمر الخلخلة .

وهكذا « الزلّة » تحمل داخلها تغير الاتجاه الذي يُسمى في الحركة بالقصور الذاتي . والمثال على ذلك هو ما يحدث للإنسان عندما يكون راكباً سيارة ، وبعد ذلك يأتي قائد السيارة فيعوقها بالكابح « الفرامل » بقوة ، عندئذ يندفع الراكب للأمام مرة ، ثم للخلف مرة أخرى ، وربما تكسر زجاج السيارة الأمامي حسب قوة الاندفاع؛ ما الذي تسبب في هذا الاندفاع؟ إن السبب هو أن جسم الراكب كان مهياً لأن يسير للأمام؛ والسائق أوقف السيارة والراكب لا زال مهياً للسير للأمام ، فهو يرتج ، وقد يصطدم بأجزاء السيارة الداخلية عند وقوفها فجأة . وعملية « الزلّة » مثل ذلك تماماً ، ففيها يصاب الشيء بالارتجاج للأمام والخلف ، أو لليمين واليسار ، وفي أي جهتين متعاكستين .

ومثل هذه اللفظة الزلّة أحد مصدري الزلزال أو اسم المصدر في فاتحة سورة الحج الكريمة في قوله تعالى:

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْفُورًا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۝ ١ الْحَج: ١﴾

وفي روح البيان:

{إن زلّة الساعة شيء عظيم} الزلّة التحريك الشديد بطريق التكرير كما يدل عليه تكرير الحروف لأن زلزل مضاعف زل¹⁴.

وقال ابن عاشور في تفسير سورة الأحزاب:

في قوله تعالى:

﴿هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زَلْزَالًا شَدِيدًا ۝ ١١ الْأَحْزَاب: ١١﴾

والزلزال : اضطراب الأرض ، وهو مضاعف زل تضعيفا يفيد المبالغة ، وهو هنا استعارة لاختلال الحال اختلالا شديدا بحيث تخيل مضطربة اضطرابا شديدا كاضطراب الأرض وهو أشد اضطرابا للحاقه أعظم جسم في هذا العالم . ويقال : زلزل فلان ، مبنيا للمجهول تبعا لقولهم : زلزلت الأرض ، إذ لا يعرف فاعل هذا الفعل عرفا . وهذا هو غالب استعماله قال تعالى : (وزلزلوا حتى يقول الرسول الآية (البقرة : 214)¹⁵ .

والمراد بزلزة المؤمنين شدة الانزعاج والذعر لأن أحزاب العدو تفوقهم عددا وعدة .

ومثل ذلك قوله عز وجل: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زَلْزَالَهَا ۝ ١﴾

والفعل زلزل في الآية يفيد معنى شدة الاهتزاز والتحرك الشديد للأرض يوم القيامة، زلزال لا يمكن للعقل البشري أن يصور حقيقته، لذلك وصفه العلماء المفسرون بأساليب مختلفة على النحو التالي:

وقال ابن عاشور أيضا:

(ومعنى) زلزلت (: حركة تحريكاً شديداً حتى يخيل للناس أنها خرجت من حيزها لأن فعل زلزل مأخوذ من الزلل وهو زلق الرجلين ، فلما عنوا شدة الزلل ضاعفوا الفعل للدلالة بالتضعيف على شدة الفعل كما قالوا : ككبكه ، أي كبه ولملم بالمكان من اللم¹⁶ .

والزلال : بكسر الزاي الأولى مصدر زلزل، وأما الزلزال بفتح الزاي فهو اسم مصدر كالوسواس والقلق ... وإنما بني فعل (زلزلت) بصيغة النائب عن الفاعل لأنه معلوم فاعله وهو الله تعالى . وانتصب (زلزالها) على المفعول المطلق المؤكد لفعله إشارة إلى هول ذلك الزلزال فالمعنى : إذا زلزلت الأرض زلزالاً . وأضيف (زلزالها) إلى ضمير الأرض لإفادة تمكنه منها وتكرره حتى كأنه عرف بنسبته إليها لكثرة اتصاله بها كقول النابغة :

أسائلي سفاهتها وجهلاً ** على المهجران أخت بني شهاب
أي سفاهة لها ، أي هي معروفة بها ، وقول أبي خالد القناني :
والله أسماك سمي مباركا *** آثرك الله به إثاركا
يريد إثاراً عرفت به واختصت به.

وقال سيد قطب:

إنه يوم القيامة حيث ترتجف الأرض الثابتة ارتجافاً ، وتزلزل زلزالاً ، وتنفض ما في جوفها نفصاً ، وتخرج ما يتقلها من أجساد ومعادن وغيرها مما حملته طويلاً . وكأنها تتخفف من هذا الأثقال ، التي حملتها طويلاً! وهو مشهد يهز تحت أقدام المستمعين لهذه السورة كل شيء ثابت؛ ويخيل إليهم أنهم يترنحون ويتأرجحون ، والأرض من تحتهم تهتز وتمور! مشهد يخلع القلوب من كل ما تشبث به من هذه الأرض ، وتحسبه ثابتاً باقياً؛ وهو الإيحاء الأول لمثل هذه المشاهد التي يصورها القرآن، ويودع فيها حركة تكاد تنتقل إلى أعصاب السامع بمجرد سماع العبارة القرآنية الفريدة!

ويزيد هذا الأثر وضوحاً بتصوير « الإنسان » حيال المشهد المعروض ، ورسم انفعالاته وهو يشهده..¹⁷. وفي محاسن التأويل:

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝ أَي : أصابها ذلك الزلزال الشديد والاهتزاز الرهيب . فالإضافة للتفخيم أو الاختصاص ، بمعنى الزلزال المخصوص بها ، وهي الرجة التي لا غاية وراءها . والأقرب الأول لآية :
﴿يَأْيِيهَا النَّاسُ أُنْقُورًا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۝ الْحج : ١ ، وقرئ بفتح الزاي ، وقد قيل :
هما مصدران . وقيل : المفتوح اسم والمكسور مصدر ، وهو المشهور¹⁸ .

وقال في سورة الحج:

والزلزلة التحريك الشديد والإزعاج العنيف ، بطريق التكرير بحيث يزيل الأشياء من مقارّها ويخرجها عن مراكزها . وإضافتها للساعة ، من إضافة المصدر إلى فاعله مجازاً ، كأنها هي التي تنزل . أو إلى ظرفه ، وهي الزلزلة المذكورة في قوله تعالى : ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۱ [الزلزلة : 1] ، وفي التعبير عنها بالشيء ، إيدان بأن العقول قاصرة عن إدراك كنهها ، والعبارة لا تحيط بها إلا على وجه الإبهام . أفاده أبو السعود¹⁹ .

كل هذه المشاهد إنذار وإعلام وإعلان لما في هذا اليوم من الهول العظيم . وهذه الصيغة : زلزلت اشد إظهاراً لهذه الروعة حسب إدراك الباحث.

2-مادل على التعذيب والتنكيل مثل : كبكبو ودمدم

قال ابن عاشور:

ومعنى (كبكبو) كبوا فيها كبا بعد كب فإن: كبكبوامضعف كبوا بالتكرير وتكرير اللفظ مفيد تكرير المعنى مثل : كفكف الدمع ، ونظيره في الأسماء : جيش ملمم ، أي كثير ، مبالغة في اللم ، وذلك لأن له فعلاً مرادفاً له مشتملاً على حروفه ولا تضعيف فيه فكان التضعيف في مرادفه لأجل الدلالة على الزيادة في معنى الفعل²⁰ .

وفي روح البيان:

{ فكبكبو فيها } الكبكبة أي تدهور الشيء في هوة وهو تكرير الكب وهو الطرح والإلقاء منكوساً وجعل تكرير اللفظ دليلاً على تكرير المعنى كمر عين الكب بنقله إلى باب التفعيل فأصل كبكبو كبوا فاستقل اجتماع الباءات فأبدلت الثانية كافاً كما في زحج فإن أصله زحج من زحه يزحه أي نحاه عن موضعه ثم نقل إلى باب التفعيل فقيل : زحجه فأبدلت الحاء الثانية زاياً فقيل : زحجه أي باعده فمعنى الآية ألقوا في الجحيم مرة بعد أخرى منكوسين على رؤوسهم إلى أن يتسقروا في قعرها.

وفي أنوار التنزيل::

{ فكبكبو فيها هم والغاؤون } أي الآلهة وعبدهم والكبكبة تكرير الكب لتكرير معناه كأن من ألقى في النار ينكب مرة بعد أخرى حتى يستقر في قعرها

قال الشاعر :

يقول لهم رسول الله لما ** قذفناهم كباكب في القليب

أي صاح عليهم ربه صيحة غضب . والمراد بهذه الدمدمة صوت الصاعقة والرجفة التي أهلكوا بها قال تعالى : ﴿ فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ مُشْرِقِينَ ۗ ۷۳ (الحجر: 73) ، وإسناد ذلك إلى الله مجاز عقلي لأن الله هو خالق الصيحة وكيفياتها. فوزن دَمَدَمَ فَعَلَل ، وقال أكثر المفسرين: دمدم عليهم أطبق عليهم الأرض ، يقال : دَمَمَ عليه القبر ، إذا أطبقه ودَمَدَمَ مكرر دَمَمَ للمبالغة مثل كَبَّكَب ، وعليه فوزن دَمَدَمَ فَعَلَل²¹ .

وقال ابن عاشور: في قوله تعالى:

﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ۚ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ۝﴾

ومعنى : بعثت: انقلب باطنها ظاهرها ، والبعثرة : الانقلاب ، يقال : بعثر المتاع إذا قلب بعضه على بعض . قال في الكشف: بعثر مركب من البعث مع راء ضمت إليه. وقال البيضاوي قيل : إن بعثر مركب من بعث وراء الإثارة كبسمل اه ، ونقل مثله عن السهيلي . وأن بعثر منحوت من بعث وإثارة مثل : بسمل ، وحوقل ، فيكون في بعثر معنى فعلين بعث وأثار ، أي أخرج وقلب ، فكأنه قلب لأجل إخراج ما في المقلوب²² . والذي اقتصر عليه أئمة اللغة أن معنى بعثر : قلب بعض شيء على بعضه .

وبعثرة القبور : حالة من حالات الانقلاب الأرضي والخسف خصت بالذكر من بين حالات الأرض لما فيها من الهول باستحضار حالة الأرض وقد أُلقت على ظاهرها ما كان في باطن المقابر من جثث كاملة ورفات ، فإن كان البعث عن عدم كما مال إليه بعض العلماء أو عن تفريق كما رآه بعض آخر ، فإن بعث الأجساد الكاملة يجوز أن يختص بالبعث عن تفريق ويختص بعث الأجساد البالية والرمم بالكون عن عدم .
وقال الفراء في قوله تعالى " وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ " ...

وَبُعْثِرَتْ وَبُخِّرَتْ لَعْتَانِ وَقَالَ الزَّجَّاجُ بُعْثِرَتْ أَيَّ قَلْبٍ تَرَاهَا وَبَعَثَ الْمَوْتَى الَّذِينَ فِيهَا وَقَالَ بَعَثُوا مَتَاعَهُمْ وَبَخَّرُوهُ إِذَا قَلَّبُوهُ وَفَرَّقُوهُ وَبَدَّدُوهُ وَقَلَّبُوا بَعْضَهُ فَوْقَ بَعْضٍ... قال ابن سيده وزعم يعقوب أن عينها بدل من غين بعثر أو غين بعثر بدل منها وَبُعْثِرَ الْخَبْرَ بَخْنَهُ وَيُقَالُ بَعَثَرْتُ الشَّيْءَ وَبَخَّرْتُهُ إِذَا اسْتَخْرَجْتَهُ وَكَشَفْتَهُ وَقَالَ أَبُو عبيدة :...
وتقول بَعَثَرْتُ حَوْضِي أَي هَدَمْتَهُ وَجَعَلْتِ أَسْفَلَهُ أَعْلَاهُ²³.

وقال الزمخشري

بُعْثِرَ (بعث . وقرئ :) (بخر) وبحث ، وبحث

وقال زهير :

ليث بعثر يصطاد الرجال إذا ما **كذب الليث عن أقرانه صدقا.

وفي تفسير روح البيان:

وقال الراغب : من رأى تركيب الرباعي والخماس نحو هلل وبسمل إذا قال لا إله إلا الله وبسم الله يقول أن بعثر مركب من بعث وأثير أي قلب تراهما وأثير ما فيها وهذا لا يبعد في هذا الحرف فإن البعثرة تتضمن معنى بعث وأثير وهذان من أشراط الساعة.

وقال الألويسي في روح المعاني:

وذهب بعض الأئمة كالزمخشري والسهيلي إلى أنه مركب من كلمتين اختصارا ويسمى ذلك نختا. وأصل بعثر وأثير ونظيره بسمل وحومل ودمعز أي قال بسم الله والحمد لله... إلى غير ذلك من النظائر وهي كثيرة في لغة العرب وعليه يكون معناه النبش والإخراج معا واعترضه أبو حيان بأن الرء ليست من أحرف الزيادة وهو توهم منه فإنه فرق بين التركيب والنحت من كلمتين والزيادة على بعض الحروف الأصول من كلمة واحدة

قال ابن عاشور في قوله تعالى:

﴿مُذَبِّبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هُوَ لَا وَلَا إِلَى هُوَ لَا﴾ (النساء: 143)

والمذذب اسم مفعول من الذبذبة . يقال : ذبذبه فتذبذب . والذبذبة : شدة الاضطراب من خوف أو خجل ، قيل : إن الذبذبة مشتقة من تكرير ذب إذا طرد ، لأن المطرود يعجل ويضطرب ، فهو من الأفعال التي أفادت كثرة المصدر بالتكرير ، مثل زلزل ولملم بالمكان وصلصل وكبكب ، وفيه لغة بدالين مهملتين ، وهي التي تجري في عاميتنا اليوم ، يقولون : رجل مذذب ، أي يفعل الأشياء على غير صواب ولا توفيق . فقيل : إنها مشتقة من الدبة بضم الدال وتشديد الباء الموحدة أي الطريقة بمعنى أنه يسلك مرة هذا الطريق ومرة هذا الطريق²⁴.

والإشارة بقوله : (بين ذلك) إلى ما استفيد من قوله : (يراءون الناس) لأن الذي يقصد من فعله إرضاء الناس لا يلبث أن يصير مذذباً ، إذ يجد في الناس أصنافاً متباينة المقاصد والشهوات . ويجوز جعل الإشارة راجعة إلى شيء غير مذكور ، ولكن إلى ما من شأنه أن يشار إليه ، أي مذذبين بين طرفين كالإيمان والكفر ... والتقدير لا هم إلى المسلمين ولا هم إلى الكافرين .

قال أبوحيان الأندلسي في البحر المحيط:

دمدم عليه القبر : أطقه . وقال مؤرج : الدمدة : إهلاك باستتصال . وقال في الصحاح : دمدمت الشيء : أزرقت بالارض وطحطحته²⁵.

وقال ابن عاشور في التحرير والتنوير في أسماء سورة التوبة:

وعن سفيان أنها تسمى (المدممة) بصيغة اسم الفاعل من دمدم إذا أهلك ، لأنها كانت سبب هلاك المشركين.

ويلاحظ قارئ القرآن المدير لمعانيه أن لفظة دمدم تعبر عن شدة الإطباق والإهلاك لثمود من خلال جرس اللفظة ما لا يدركه القارئ بسرعة في غير هذه اللفظة من التعابير القرآنية لهذا الإهلاك كما قال تعالى:

﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ﴾ (فصلت: ١٧)

﴿وقوله فَإِنِ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ١٣﴾ (فصلت: ١٣)

﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأَهْلِكُوا بِلَطَّاعِيَةٍ ٥﴾ الحاقة: ٥

وفي هذا يقول سيد قطب:

والدمدمة الغضب وما يتبعه من تنكيل . واللفظ ذاته . { دمدم } يوحي بما وراءه ، ويصور معناه بجرسه ، ويكاد يرسم مشهداً مروعاً مخيفاً! وقد سوى الله أرضهم عاليها بسافلها ، وهو المشهد الذي يرتسم بعد الدمار العنيف الشديد²⁶.

وقال القاسمي في محاسن التأويل:

دمدم أطبق عليهم العذاب . وقيل : الدمدمه حكاية صوت الهدية { فَسَوَّاهَا } أي : فسوى الدمدمه عليهم جميعاً ، فلم يفلت منهم أحد . ومن ذلك قوله تعالى في سورة الشعراء: فككبوا فيها²⁷.

ما دل على الظهور والبروز والوضوح مثل حصحص وبعثر

وفي لسان العرب:

وأصل حصحص مأخوذ من الحَصُّ وهو حَلْقُ الشعر تقول: حَصَّه يَحْصُهُ حَصّاً فَحَصَّ حَصّاً وَأَحْصَّ وَالْحَصَّ أَيْضاً ذَهَابُ الشعر سَحْجاً ... والخاصة الداء الذي يَتَنَاءَثُرُ منه الشعر وفي حديث ابن عمر أن امرأة أخته فقالت إن ابنتي عُرَيْسٌ وقد تَمَعَّطَ شعرها وأمروني أن أُرَجِّلَهَا بِالْحَمَرِ فقال إن فعلتِ ذلك ألقى الله في رأسها الحاصّة.

والخاصة هي العلة ما تَحْصُّ الشعر وتُذْهِبُه وقال أبو عبيد الحاصّة ما تَحْصُّ شعرها تَحْلِقُه كله فتذهب به وحصَّ شعره وأحصَّ الجرد وتناثر...

والحصحصه بيان الحق بعد كتمانها وقد حصحص ... وقوله عز وجل: الآن حصحص الحق تقول صاف الكذب وتبين الحق وهذا من قول امرأة العزيز وقيل حصحص الحق أي ظهر وبرز وقال أبو العباس الحصحصه المبالغة يقال حصحص الرجل إذا بالغ في أمره وقيل اشتقاقه من اللغة من الحصه أي بانته حصه الحق من حصه الباطل.

قال أبو حيان:

حصحص تبين بعد الخفاء ، قاله الخليل . وقيل : مأخوذ من الحصه حصحص الحق بانته حصته من حصه الباطل . وقيل : ثبت واستقر ، ويكون متعدياً من حصحص البعير ألقى ثفناته للإناخة قال : حصحص في صم الصفا ثفناته

وقرىء حصحص على البناء للمفعول ، أقرت على نفسها بالمرأودة ، والتزمت الذنب ، وأبرأت يوسف البراءة التامة²⁸.

وفي روح البيان:

حصحص الحق أي وضح وانكشف وتمكن في القلوب والنفوس أنا راودته عن نفسه ... الآن حصحص الحق إشارة إلى تنور النفس والقوي بنور الحق واتصافها بصفة الأنصاف والصدق ،

وفي روح المعاني:

الآن حصحص الحق ... أي تبينت حصه الحق من حصه الباطل والمراد تميز هذا عن هذا وإلى ذلك ذهب الزجاج أيضاً وقيل : هو من حص شعره إذا استأصله بحيث ظهرت بشرة رأسه. والمعنى الآن ثبت الحق واستقر

وذكر الراغب وغيره أن حص وحصص كفف وكفكب وكب وككب وقرىء بالبناء للمفعول على معنى أقر الحق في مقره ووضع في موضعه²⁹.

وقال الماوردي:

قالت امرأة العزيز الآن حصص الحق (معناه الآن تبين الحق ووضح ، قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة . وأصله مأخوذ من قولهم حصّ شعره إذا استأصل قطعه فظهرت مواضعه ومنه الحصّة من الأرض إذا قطعت منها . فمعنى حصص الحق أي انقطع عن الباطل بظهوره وبيانه . وفيه زيادة تضعيف دل عليها الاشتقاق مثل قوله : (كبوا ، وككبوا) قاله الزجاج . وقال الشاعر
ألا مبلغ عني خدائشاً فإنه **كذوب إذا ما حصص الحق ظالم

ومن ذلك بعثر في موضعين في قوله تعالى فلا يعلم مآله وعاقبته { إِذَا بُعِثِرَ } . أي : إذا أثير وأخرج وقلب رأساً على عقب { مَا فِي الْقُبُورِ } من أموات حيث أعاد - سبحانه - إليهم الحياة ، وبعثهم للحساب والجزاء ، والثاني تركما قال - تعالى - : { وَإِذَا الْقُبُورُ بُعِثِرَتْ } أي : أثيرت وأخرج ما فيها . يقال : بعثر فلان متاعه ، إذا جعل أسفله أعلاه.

وقال ابن عاشور:

بعثرت: انقلب باطنها ظاهرها ، والبعثرة : الانقلاب ، يقال : بعثر المتاع إذا قلب بعضه على بعض . قال في (الكشاف) : (بعثر مركب من البعث مع راء ضمت إليه) . وقال البيضاوي قيل : إن بعثر مركب من بعث وراء الإثارة كبسمل اه ، ونقل مثله عن السهيلي . وأن بعثر منحوت من بعث وإثارة مثل : بسمل ، وحوقل ، فيكون في بعثر معنى فعلين بعث وأثار ، أي أخرج وقلب ، فكأنه قلب لأجل إخراج ما في المقلوب.والذي اقتصر عليه أئمة اللغة أن معنى بعثر : قلب بعض شيء على بعضه.وبعثرة القبور : حالة من حالات الانقلاب الأرضي والحسف خصت بالذكر من بين حالات الأرض لما فيها من الهول باستحضار حالة الأرض وقد ألفت على ظاهرها ما كان في باطن المقابر من جثث كاملة ورفات³⁰.
وفي ظلال القرآن:

وهو مشهد عنيف مثير . بعثرة لما في القبور . بعثرة بهذا اللفظ العنيف المثير . وتحصيل لأسرار الصدور التي ضنت بها وخبأتها بعيداً عن العيون . تحصيل بهذا اللفظ العنيف القاسي . . فالجو كله عنف وشدة وتعفير³¹.

3- مادل على التكرار والمبالغة في الكف

قال البيضاوي:

فمن زحزح عن النار { بعد عنها والزحزحة في الأصل تكرير الزح وهو الجذب بعجلة
قال ابن عاشور:

(فمن زحزح أبعد . وحقيقة فعل زحزح أنها جذب بسرعة ، وهو مضاعف زحه عن المكان إذا جذبه بعجلة.

وإنما جمع بين: زحزح عن النار وأدخل الجنة، مع أن في الثاني غنية عنالأول ، للدلالة على أن دخول الجنة يشتمل على نعمتين عظيمتين : النجاة من النار ، ونعيم الجنة.
قال أبوحيان:

الزحزحة : التنحية والإبعاد ، تكرير الزح وهو الجذب بعجلة ويقال : مكان زحزح أي بعيد .

4- مادل على المبالغة في الدخول والإقبال أو الإدبار:

والليل إذا عسعس .

وعسعس فعل رباعي مضاعف لأن فاءه ولامه الأولى وعينه ولامه الثانية من جنس واحد. وهذا التضعيف يوحي بما في سرعة إقبال الليل أو إدباره. وبما في شدة الظلمة والبهمة أو بما في شدة انكشاف الليل وظهور ضوئه نظرا إلى أن الكلمة من الأضداد.

قال ابن عاشور:

وعسعس الليل عسعاسا وعسعسة ، قال مجاهد عن ابن عباس : أقبل بظلامه ، وقال مجاهد أيضا عن ابن عباس معناه : أدبر ظلامه ، وقاله زيد بن أسلم وجزم به الفراء وحكى عليه الإجماع . وقال المبرد والخليل : هو من الأضداد يقال : عسعس ، إذا أقبل ظلامه ، وعسعس ، إذا أدبر ظلامه . قال ابن عطية : قال المبرد : أقسم الله بإقبال الليل وإدباره معا .

وبذلك يكون إثارة هذا الفعل لإفادته كلا حالين صالحين للقسم به فيهما لأنهما من مظاهر القدرة إذ يعقب الظلام الضياء ثم يعقب الضياء الظلام ، وهذا إيجاز³².

وقال الزمخشري في الكشف:

عسعس الليل وسعسع : إذا أدبر .

قال العجاج :

حَتَّى إِذَا الصُّبْحُ هَا ** وَأَنْجَابَ عَنْهَا لَيْلَهَا وَعَسْعَسَا

وقيل عسعس : إذا أقبل ظلامه . فإن قلت : ما معنى تنفس الصبح ؟ قلت : إذا أقبل الصبح : أقبل بإقباله روح ونسيم.

وقال أبو حيان الأندلسي:

قال الفراء : عسعس الليل وعسعس ، إذا لم يبق منه القليل . وقال الخليل : عسعس الليل : أقبل وأدبر . قال المبرد : هو من الأضداد . وقال علقمة بن قرط : حتى إذا الصبح لها تنفسا

وانجباب عنها ليلها وعسعسا.³³

عَسْعَسَ (بلغة قريش ، وقال الحسن : أقبل ظلامه ، ويرجحه مقابلته بقوله :

وقال الماوردي:

والليل إذا عَسَسَ (فيه ثلاثة تأويلات :

أحدها : أظلم ، قاله ابن مسعود ومجاهد ، قال الشاعر :

حتى إذ ما لَيْلُهُنَّ عَسَسَا ** رَكِبَنَّ مِنْ حَدِّ الظَّلامِ حِنْدَسًا

الثاني : إذا ولى ، قاله ابن عباس وابن زيد ، قال الشاعر :

حتى إذا الصبح لها تنفسا ** وانجاب عنها ليلها وعسسا

الثالث : إذا أقبل ، قاله ابن جبير وقتادة ، وأصله العس وهو الامتلاء ، ومنه قيل للقبح الكبير عس لامتلائه بما فيه ، فانطلق على إقبال الليل لابتداء امتلائه ، وانطلق على ظلامه لاستكمال امتلائه ،

الخاتمة:

وبهذا يصل الباحث إلى نهاية هذا البحث عن الفعل الرباعي ومعانيه في القرآن الكريم. حاول الباحث أن يتحدث عن الفعل الرباعي المجرد والمزيد ومصدريهما القياسيون غير القياسي كما تحدث عن الأفعال المنحوتة والملحقة بالرباعي وبعض القواعد المتعلقة بذلك. كما تحدث عن المعاني الصرفية المستفادة من الأفعال المنحوتة. وبالتالي حاول الباحث استخراج بعض الأفعال الرباعية من القرآن الكريم ومحاولة دراستها على ضوء بعض التفاسير تحليليًا حيث درس الباحث من ذلك زلزلوا وكبكبوا ودمدم وبعثر وحصحص وزحزح وعسوس.

لاحظ الباحث أن معظم الأفعال التي جاءت للدلالة على التهويل والتخويف وردت مبنية للمفعول أي المبني للمجهول حيث لم يذكر الفاعل وإن كان معلوما. كما هو أسلوب القرآن في التعامل مع كثير من الأفعال الدالة على التهويل وإن كانت غير رباعية: كرجت ويستودكت في فوله عز وجل: ﴿إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا ۚ ۝ الواقعة: ٤ - ٥ وقوله ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ۚ ٢١ الفجر: ٢١ وهذا من الأسلوب القرآن الكريم في ذكر الأمور المخوفة المهولة المتعلقة بأحوال القيامة.

الهوامش والمراجع:

- 1- قاسم بن عبد محمد النعيمي، شذى الأرواح شرح منظومة الفلاح في علم الصرف، دار ابن حزم مكتبة كركوك العراق، ط 1 2013م ص 40
- 2- الحملاوي أحمد بن محمد بن أحمد، شذا العرف في فن الصرف، تحقيق الشيخ طه عبد - - الرؤوف سعد و سعد حسن محمد علي ط 1 1999م ص 4
- 3- محمد محيي الدين عبد الحميد دروس النصرف في المقدمات وتصريف الأفعال، دار الطلائع 2019م ص

80

4 - قاسم بن عبد محمد النعيمي، المرجع السابق، ص 40

- 5- ثيبت يحيى فاروق الدكتور، تيسير تصريف الأفعال بمضمون منظومة لامية الأفعال لابن مالك، ط1 2009م
ص 284
- 6 - الحاج سعد بن عمر مدير مدرسة سبيل الفلاح - سيقو مالي، المبادئ الصرفية ط4 - 1978م
- 7 - حسني عبد الجليل يوسف، (أ.د.) تسهيل شرح ابن عقيل لألفية ابن مالك في الصرف، ط1 مؤسسة
المختار، 2013م
- 8 - شذا العرف في فن الصرف، المرجع السابق، ص 34
- 9 - الحاج سعد بن عمر، المرجع السابق، ص 51
- 10 - حسني عبد الجليل يوسف، (أ.د.) تسهيل شرح ابن عقيل لألفية ابن مالك في الصرف، ط1 مؤسسة
المختار، 2013م
- 11 - محمد صالح حسين، تحقيق وشرح كتاب الحصن الرصين في علم التصريف للشيخ عبد الله بن فودي، دار
الفجر 1984م ص 195
- 12- تفسير البحر المحيط تحقيق الشيخ العادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض ط1 2001 ج1
ص 149
- 13 - محمد الطاهر بن عاشور، (الشيخ) التحرير والتنوير. الطبعة التونسية، نشر: دار سحنون للنشر والتوزيع -
تونس - 1997 مج8 ص 152
- 14- إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوئي، تفسير روح البيان نشر دار إحياء التراث العربي ج6
ص1 الإصدار الثالث.
- 15- ابن عاشور محمد الطاهر (الشيخ) تفسير التحرير والتنوير، دار سحنون بلا تاريخ ج8 ص 283
- 16- ابن عاشور محمد الطاهر (الشيخ) تفسير التحرير والتنوير، دار سحنون بلا تاريخ ج 12- ص 490،
- 17 - سيد قطب، في ظلال القرآن ط 10- 1984م دار الشروق، ج6- ص 3954
- 18- محمد جمال الدين القاسمي، العلامة، محاسن التأويل المسى تفسير القاسمي، تحقيق أحمد بن علي وحدي
صبح 2003م دار الحديث القاهرة ج9 ص 459
- 19- القاسمي، محمد جمال الدين العلامة، محاسن التأويل المسى تفسير القاسمي، تحقيق أحمد بن علي وحدي
صبح 2003م دار الحديث القاهرة، ص 244
- 20 - تفسير التحرير والتنوير، المرجع السابق، ج8 ص 152
- 21- البيضاوي، عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، القاضي ناصر الدين أبوسعيد، تفسير البيضاوي
المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل ط1- المكتب العلمي للتراث نشر دار البيان العربي 2002م - ج2 ص
159
- 22- التحرير والتنوير، المرجع السابق، ص 172

- 23 - ابن منظور محمد بن مكرم الإفريقي المصري، لسان العرب، مادة بعثر
- 24 - إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوئي، تفسير روح البيان، نشر / دار إحياء التراث العربي،
- 25 - تفسير البحر المحيط تحقيق الشيخ العادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض ط 1 2001م دار
الكتب العلمية، ج 6 ص 472
- 26 - سيد قطب، المرجع السابق، ص 3919
- 27 - القاسمي، المرجع السابق، ج 9 ص 411
- 28 - ابن منظور، المرجع السابق، مادة حصص
- 29 - الألوسي، شهاب الدين محمود ابن عبدالله الحسيني، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني،
- 30 - التحرير والتنوير المرجع السابق، ص 162
- 31 - سيد قطب، المرجع السابق، ص 3958
- 32 - التحرير والتنوير المرجع السابق، ج 12 ص 154
- 33 - البحر المحيط، المرجع السابق ج 8 ص 422

CITATION

Muhammad U. M. (2024). Among the Meanings of the Quadruple Verb in the Light of some Interpretations of the Glorious Qur'an: An Analytical Morphological Study. In Global Journal of Research in Humanities & Cultural Studies (Vol. 4, Number 5, pp. 10-25). <https://doi.org/10.5281/zenodo.14027636>